

الفصل الرابع

✿ عقدة أوديب وذكاء الفرد الاجتماعي

والوجداني

✿ الكذب والذكاء الاجتماعي والوجداني

obeikandi.com

عقدة أوديب – وذكاء الفرد الاجتماعي والوجداني

في أساطير الإغريق : كان أوديب طفلاً لأحد الملوك فتكهن أحد المنجمين بأنه سيقتل أباه حين يكبر، فأصر الملك نبذ ابنه في العراء ، فلما كبر أوديب هذا التقى بأبيه في إحدى رحلاته ولم يكن يعرفه، وتنازعا على أمر ما، فقتل أوديب أباه، ثم مضى حتى بلغ مدينته ، وتزوج ملكتها ، وهى أمه دون أن يعرفها .

ثم استعار فرويد هذا الاسم لهذه الأسطورة ، فأطلقه على مأساة شبيهه بما يعانيه الطفل الإنساني، إبان طفولته المبكرة ، في صلاته بوالديه، سماها عقدة أوديب، وهي عقدة ذات خطر كبير في التحليل النفسي ، فهي ذات صلة وثيقة بتكوين ضمير الطفل، وخلقة، كما أنها حجر الزاوية ونواة جميع الأمراض النفسية .

فالطفل خلال الأربع سنوات الأولى من حياته ، تكون علاقاته العاطفية والاجتماعية بوالديه قد أخذت تنمو وتتعلق ، فالطفل الذكر يحب والديه، ويزداد تعلقه بأمه وحبه لها ، كما تأخذ بواذر العزوف عن أبيه، والإعراض عنه، يدب في نفسه، ويبدو في سلوكه ، والطفل يرفض أن يكون له شريك، وتأخذ الغيرة ممن ينافس هذا الحب ، ويحقد عليه، ولكن هذا الحقد يولد في نفسه الخوف من أبيه ، كما يقترن في نفسه الشعور بالنقص ، والشعور بالذنب تجاه هذا المنافس القوي ، هذا الموقف الغريب الذي يمتزج فيه حب الأم والتعلق الشديد بها ، بالخوف من الأب والرغبة في استبعاده، "يعرف

بالموقف الأدبي " هذا الموقف يتألف من عواطف ومشاعر كريهة غير مقبولة فتكبت هذه المشاعر .

فنتكون عقدة أوديب ، فعقدة أوديب تنشأ عن رغبة مكبوتة لدى الطفل في الاستئثار بأمه ، والاستحواذ عليها ، وكراهية ، ورغبة مكبوتة في التخلص من الأب، غير أن خوف الطفل من أبيه، وما يلاقيه من تهديد الأب له، أثناء تأديبه يغري الطفل ، بأن يتنازل عن حبه وتعلقه بأمه.

ويتقمص الابن شخصية أبيه ومعاييره الخلقية، ومثله ، ومن هنا يتكون الضمير في نفس الطفل ، تلك السلطة التي تقوم مقام الوالد في مراقبة تصرفاته، وسلوكه، وتوجيهه، ونقده، وعلى هذا يكون الضمير خليفة الوالد، وريث عقدة أوديب، والتي تبدأ من السادسة عند الطفل.

ويتوقف نجاح الطفل على تصفية هذه العقدة ، على ما لقيه من قبل ، من تربية سليمة رشيدة ،ومن حسن تصرفات الوالدين تجاهه، قبل عدم التعرض للحرمان طول فترة الرضاعة ، وعدم الفطام المفاجئ ،العنيف ،ولم نفرض عليه عملية ضبط الإخراج في عنف ، وتعجيل مثل هذا الطفل، يتقبل في يسر وسماحة ما يفرض عليه من أوامر ونواهي ،فإذا ما استقبل مرحلة أوديب كان مرشحا أن يجتازها بسلام ،أما الطفل المحروم ، أو الذي أسرفت الأم في إشباعه، فلا يجتازها بسلام ، وإذا لم تحل هذه العقدة سلميا ، ولم يزل من نفس الطفل الخوف والبغض، والغيرة من أبيه ، وفرط اعتماده على أمه ، وتعلقه بها، كانت هذه العقدة أساس المرض النفسي فيما بعد.

فكل عصابي لا يزال متعلقا تعلقا شديدا وشاذاً بأمه ، ولا يزال يكره أباه، وكل سلطة يخافها ، وقد يؤدي الامتناع عن الزواج ، أو يصيبه العجز

الجنسي إن تزوج ، أو يميل إلى التخلف، أو اللواط، أو يتزوج امرأة تكبره في السن ، لتقارب أمه أو تشبهها ، أما عداؤه لأبيه ، فيبدو في صورة خصام وكره، مع من يميلون للسلطة كالرؤساء .

ويميل بعض علماء النفس، إلى تقسيم الأمراض النفسية العقلية إلى نوعين رئيسيين، تندرج تحتها كل الأمراض النفسية والعقلية :

- أولا : الأمراض النفسية (العصبية) وهذه الأمراض ترجع إلى ، اضطراب في الشخصية ، تبدو في صورة أعراض جسمية ونفسية منها القلق، الوسواس ، الهواجس ، الأفكار المتسلطة ، المخاوف الشاذة ، التردد المفرط ، الشكوك ، الأفعال القهرية التي ترغم الإنسان إلى ارتكابها .

بالرغم من إرادته ، وهذه الأعراض تعطل حاسة من الحواس ، أو وجود شلل، دون أن يكون لهذا الشلل ، سبب جسمي أو عصبي .

هذه الأمراض النفسية يطلق عليها اسم الهستيريا "النوراستانيا" القلق النفسي الوسواس ، وهذه الأمراض ترجع إلى :-

- صدمات انفعالية ، اضطرابات في العلاقات الإنسانية ، أحداث أليمة تعرض لها الفرد في طفولته المبكرة وليس لوجود تلف في المخ ، والجهاز العصبي .

النوع الثاني : الأمراض العقلية أو العصبية الذهنية وهذه الأمراض ترجع إلى اضطراب عضوي المنشأ ينجم عن تلف عضوي يصيب الجهاز العصبي ويبدو في صورة أعراض جسمية ونفسية

فقد ينشأ عن عطب وانحلال في المراكز العصبية والنسيج العصبي كالتهاب الأعصاب الذي يحدث كمضاعفة لمرض الزهري - البول السكري - أمراض سوء التغذية وأهمها البلاجرا

أو قد ينشأ عن عدوي ميكروبية تؤدي إلى التهاب المخ أو انفجار أو انسداد في شرايين المخ أو من أورام المخ أو إصابات خطيرة في الدماغ من الأمراض العصبية والشلل النصفي ، الصرع ، الحبسة الكلامية .

فالإنسان وحدة جسمية نفسية متفاعلة فاضطراب جانب منها يؤدي إلى اضطراب جانب آخر لذلك يقترن الشلل النصفي بالاكتهاب وكثير من حالات الصرع عنف وهياج وفقد الذاكرة .

أما في الالتهاب السحائي تعترى المريض أعراض نفسية قبل سرعة الغضب ، القلق ، التهور ، الاندفاعية العجز عن ضبط النفس

إن تنمية الذكاء لا يتم بالكتب وحدها بل إن التطور العاطفي يلعب دور "مهما" في تنمية المقدرة العقلية للأطفال وهذا ما أكدته د.ستانلى غرينسبان الباحث في علم تطوير الأطفال بجامعة جورج واشنطن .

حيث يقول: " نحتاج حقيقةً إلى مفاهيم ثنائية الإدراك - من جهة - والعواطف من جهة أخرى مع ملاحظة إن العواطف هي الوقود الذي يسمو بالسلوك الاجتماعي ، كما إنها تدفع أي مستويات مختلفة من الذكاء .

ويذكر أيضاً أن الجينات الوراثية - تلعب دوراً في تحديد مستويات الذكاء وإن ذكاء الأطفال لا يتحدد في الحمض النووي " مخ" وبهدف النظر عن اختبارات تحديد الذكاء في العائلة فأنا حين أشاهد أطفالاً يتمتعون بالذكاء

ويتفاعلون مع المؤثرات العاطفية يمكنني أن أرى أطفالاً أذكفاء وأكفاء ،
ولهذا أوصي بالتفاعل العاطفي المتبادل بين الآباء وأطفالهم أيضا تلعب
الرضاعة الطبيعية من ثدي الأم دورا رئيسيا في تنمية دماغ الأطفال وهذا ما
أكدته دراسة علمية نشرتها مجلة " الجمعية الطبية الأمريكية حيث ذكرت هذه
الدراسة أن رضاعة الأطفال بصورة طبيعية لمدة تتراوح بين ٧ إلى ٩ أشهر
يتمتعون بنسب ذكاء تفوق الأطفال الذين تم إرضاعهم لفترات قصيرة .

أيضا دراسة أخرى أجرتها كلية الطب في جامعة هارفارد ١٩٩٩
أثبتت أن الموسيقى والرقص هما أفضل طريقة لتعليم الأطفال كيفية التفاعل
النفسي والاجتماعي .

ويري بعض العلماء أن تعلم الأطفال الرضع لغة الإشارات قبل البدء
في الكلام إشارة لذكاء الطفل

ويؤكد غيرينسبان " قوله " بأنك إذا قمت بمطالعة أحد الكتب مع
أطفالك وفي سن مبكرة وأرشدته إلى كيفية الربط بين الصورة والكلمات
وتفاعلت معهم بصورة عاطفية ومرحه فإنك يمكنك تحقيق أفضل النتائج .

فالأطفال الرضع يستطيعون تعلم لغات أجنبية وكمبيوتر في سن ستة
إلى ثمانية عشر شهرا هذا ما أكدته دراسة أن جركن ، حيث ذكر أن الأطفال
في هذا السن يتذكرون معلومات لغوية معينة مثل الفرد الكبير وأن الأطفال
من أفضل الدارسين وأن طفلا عمره سبعة أشهر يستطيع أن يتعلم اللغة
الروسية ، ويكتشف الأطفال حتى التأنيث والتذكير في هذه اللغة في دقيقتين
وتضيف أن الأطفال قادرون على تعميم القواعد اللغوية في لغتهم الأصلية
فضلا عن اللغات الأجنبية وهذه الدراسة تمت في معملها حيث كانت تقوم

بتجديد أنواع المعلومات اللغوية التي يكتسبها الأطفال ويتم عن طريق قياس الفترة التي يستمر فيها الأطفال ينظرون إلى الضوء الساطع من مكان صدور صورة ما ، ويوضع الطفل داخل مقصورة لها ثلاث أضواء على اليمين واليسار وأمام الطفل ويصدر صوت من ماسوب خارج المقصورة أثناء فترة نظر الطفل إلى الضوء ، وهناك كاميرا فيديو داخل المقصورة حتى يستطيع الباحثون تسجيل توقيت تحريك رأس الطفل إلى الضوء إلى الكلمات والنهاية الصوتية التي يفضلها الطفل ، ويستخدمون المعمل في دراسة هذه اللغة الروسية لأن الأسماء في هذه اللغة لها تركيز وتأنيث ونهاية منطوقة تتغير بتغير النوع والعدد ويطبق الباحثون في هذه التجارب أصوات النوعية من الكلمات لم يسمعها الطفل من قبل

النوعيين هما : ١- كلمة أساسية

٢- كلمة ذات نهاية صوتية بشكل صحيح

وبشكل كافي مثل اسم مذكر بنهاية مؤنث أو العكس فإذا نظر الطفل طويلا إلى الضوء خلال سماع الكلمة الصحيحة يعرف الباحثون انهم يقدمون به معلومة جديدة وليس تكرار نموذج سابق .

هدف هذه الاختبارات

أمريين هما : ١- أن الأطفال في هذا السن يعرفون لغتهم الأصلية

٢- الأجزاء التي يستطيع الأطفال تعلمها من لغة أخرى جديدة لا يعرفونها في وقت قصير .

استخدم مفهوم التكيف في المجال النفسي تحت مصطلح توافق Adjustment فالإنسان يتلاءم مع البيئة الطبيعية يستطيع أن يتلاءم مع الظروف الاجتماعية النفسية التي تحيط به والتي تتطلب منه باستمرار أن يقوم بمواءمات بينه وبينها ، ومن هنا يفسر السلوك الإنساني باعتبار عدة توافقات مع مطالب الحياة وضغوطها ، وهذه مطالب في أساسها اجتماعية نفسية في صورة علاقات متبادلة بين الفرد والآخرين وتؤثر في بدورها في التكوين البيولوجي للفرد .

وقد يكون التوافق ثمرة للكيف كما يرى (دسوقي) حيث ذكر أن التوافق ثمرة التكيف وسوء التوافق فشل أو عدم قابلية لملاءمة ما هو نفسي بما هو اجتماعي

وهذا التوافق لا يتم إلا من طريق الذكاء بصفة عامه والذكاء الاجتماعي بصفة خاصة وهذا ما أكده فؤاد البهي السيد ، والذي ذهب إلى أن التوافق أعم من التكيف ، فالتوافق يقتصر على النواحي النفسية والاجتماعية، أما التكيف فيختص بالنواحي الفسيولوجية.

وبذلك تصبح عملية تعبير الفرد لسلوكه ليتسق مع غيره وذلك باتباعه للعادات والتقاليد وخضوعه للالتزامات الاجتماعية عملية توافق وهذا يعتمد على الذكاء الاجتماعي أم عملية تعبير هدف العين وذلك باتساعها في الظلام وضيقها في الضوء الشديد عملية تكيف.

ولكن " كاتل " يفرق بين التوافق والتكيف على أساس أن التكيف يستخدم في معنى اجتماعي أي انسجام الفرد مع عالمه المحيط به ، بينما

يشير التوافق إلى حسن النظام الداخلي أي التحرر من الضغوط والصدمات النفسية والكبت

يرى بعض العلماء ومنهم شانيذر schneideis إلى أن الإنسان سيء التوافق هو الإنسان الذي يعاني من مشكلات جنسية والذي لا يستطيع تكوين أصدقاء والذي لا يستطيع أن يتحكم في مشاعر وصوابه ، أو الذي يشذ عن المعايير الاجتماعية للسلوك.

ويؤكد (ستوت stout) ذلك بقوله بأن السلوك غير المتوافق هو ذلك السلوك الذي يمنع الفرد بأخذ دوره ويتحمل مسؤولية حتى المجتمع الذي يعيش فيه فالفرد سيء التوافق هو فرد يتعرف بطريقة تبدو ضد ميوله ، وينمو بطريقة لها تأثير سيئ ، أي أنه فرد ليس لديه نوعان من الذكاء هما الذكاء الاجتماعي والوجداني .

إذن عقدة أديب تلعب دوراً رئيساً في الذكاء الاجتماعي والوجداني للفرد.



الكذب والذكاء الاجتماعي والوجداني

الكذب كمفهوم هو الانحراف عن الصدق في القول والعمل والسلوك والقصد (النية) كمحاولة غير سوية وأسلوب اضطرابي لتغطية الأخطاء ونكران الذنوب نكتسبه من تفاعل عوامل عدة أسرية، مدرسية ، مجتمعية، إعلامية .. إلخ

إلا أن الكذب عند الأطفال يختلف في تصنيفاته وبعض مظاهره عنه لدى الكبار، فغالباً ما يدرك الأباء خطأ أن التفكير الخيالي والتفكير الخرافي عند الطفل بأنه نوع من الكذب ويؤمنونه على ذلك بل الأكثر من ذلك يصفونه بأنه كاذب ، وفي حقيقة الأمر ما ذلك التفكير إلا نوع من الذكاء الممتاز لدى الطفل ودلالة على التقدم في النمو العقلي أي أن الطفل ينمو عقلياً بشكل مثالي وهو في حاجة لنا لكي نفهم سلوكه وتفكيره لا أن نحبطه ونعيق ذكائه ، فالطفل عندما يتسع خياله وتفتح قدراته الذهنية وخاصة في العمر (٣ - ٥) سنوات يختلط لديه الواقع بالخيال ويروي قصصاً خيالية باعتبارها أحداث واقعية دون أن يقصد الكذب أو تشويه الحقيقة (كما يتهمه خطأ وظلماً الكبار) فهو عندما يقول بأنه قتل الأسد أو أن خاله المسافر أتى أو أنه ذبح الدجاجة أو سلم على مزيغ ما ، أو أنه قضى على أربعة لصوص .. فهو طفل ذكي وليس بطفل كاذب كذلك الحال في التفكير الخرافي الذي يكون نتيجة ضعف القدرة على التمييز بين الواقع والإدراك كأن يحاول الطفل سرد قصة خرافية بواقع موضوعي " مثلاً عندما يروي الطفل أنه انطلق مع " قرندايزر " أو أنه ذهب إلى الفضاء ، أو أنه رأى العفريت أو الغول ، أو أنه ذهب إلى مدينة بعيدة .. " وهذا التفكير هو أمر طبيعي بل هو في الاتجاه الإيجابي لذكاء الطفل ولنموه بشكل عام فإذا ما وصفناه بالكذب فإننا سنجرم في حق الطفل ونقف عائقاً في طريق ذكائه وندفعه نحو الانحراف واللاسواء .

ولعلني لا أبالغ إن قلت أن أول كذبة يدركها الطفل من أمه هي "اللاهية" فيأخذ رضيعنا الوليد "اللاهية" من يدي أمه ويضعها في فمه أملاً في الارتواء من الحليب .. ولكن لسوء حظه لن يأتي الحليب حتى ولو استمر في "مطمطة" اللاهية طول العمر، وهو ما يعني إحباطاً شديداً يدركه الطفل "إحباط نفسي + جسدي" وأيضاً أول صورة مشوهة يدركها الطفل عن أمه فيقول في قرارة نفسه البريئة "أهل يعقل يا هذه الأم "المصنعة المنعة" ذات العرض والطول تخادعني "العين في العين" وبكل هذا الإجحاف والتسلط ..

كذلك الحال عندما تستقبل أمه ضيفة ما أو يستقبل أبيه ضيف ما بالحب والأحضان والكلام المعسول وبأطباق الحلوى والفواكه، "وبقصة" "البازين" "والمكرونة" ثم ما أن يغلق الباب خلف هذا الضيف حتى يكيلا له من الكلام السيئ والنميمة المستمرة ما تعجز عن حمله الجبال والسهول .. والطفل الوديع المتواجد في المكان هو الضحية الأولى لهذا السلوك فهو في حيرة من أمره ... لماذا أبي وأمي .. يتبدلان كالحرباء من حال إلى حال "سبحان مغير الأحوال" فهو أما أن يتشرب من والديه هذه السلوكيات ويبدأ خطواته المسرعة نحو الكذب وأما أن يكبت في داخله حسرة وخوفاً وألماً وبالتالي ... يركب صعوبات الطريق ...

لذلك فغياب القدوة الحسنة (من الآباء والأمهات والمدرسين، ووسائل الإعلام .. ورجال الدين..) والنفاق الاجتماعي وانهيار القيم الأخلاقية وطغيان المصالح المادية وفقدان الوازع الأخلاقي كلها عوامل تخلق أرضية خصبة لتعلم الكذب .

الأطفال التوحديون منعزلون و يميلون إلى عدم الإشتراك مع الآخرين
و لا يحبون الاندماج في المحيط الإجتماعي .

وبناءً على ما سبق فالفرد الذي لا يتميز بالذكاء الاجتماعي يعتبر
شخص شبه فصامي .

ويؤكد هذا ما ذكرته مدرسة التحليل النفسي في تفسيرها للفصام بأنه
صراع مستمر بين الأنا الأعلى والهو مما يضعف سيطرة الأنا الأعلى على
الشخصية ويضعف الأنا ويخلق صراعاً مستمراً بينه وبين العالم الخارجي
ويؤدي إلى الانفصام عن الواقع مما يجعل المريض يمتص الطاقة الليبيدية
للدخل بدلاً من توجيهها للخارج، وينكص للمراحل الجنسية الأولى في حياة
الفرد ، حيث ينكص لأنماط التفكير الطفلي وينسحب إلى داخل نفسه إلى
المستوى النرجسي ، ويتمركز حول ذاته ، ويتجنب العلاقات الشخصية
الاجتماعية ، ويصبح انطوائياً ، ويفضل في التوافق مع البيئة الاجتماعية .
ونستنتج من ذلك أنه إذا تم تدريب الطفل منذ طفولته على إقامة علاقات
اجتماعية سليمة مع رفاقه وأصحابه واتساع مجاله الاجتماعي فإنه يؤدي ذلك
إلى نمور مهارات الاتصال الاجتماعي والتي تعتبر الأساس للذكاء
الاجتماعي . فهذا يؤدي إلى عدم انطوائية الطفل في الكبر وعدم انعزاله عن
المجتمع و عدم إصابته بمرض الفصام.

ويرى السلوكيون ومنهم "ولمان" Wolman, 1965 أن زيادة الدافعية
تؤدي إلى قوة الإستجابة وعدم مناسبتها وخطئها ، فالبعد عن الواقع
الاجتماعي والاستغراق في الذات يجعل الفرد سجين داخل نفسه كما لو كان
في جزيرة منعزلة تملؤها أوهامه.

كل هذا يؤدي إلى اضطراب الاتصال الاجتماعي واضطراب العلاقات الشخصية وسوء التوافق الاجتماعي والأسري وفقدان الاهتمام بالبيئة وبالتالي انعدام المسؤولية الاجتماعية ، والتبلد الانفعالي واللامبالاه ، وفقدان التعلق الانفعالي بالآخرين وبالتالي تدهور الشخصية .

والعلاج هو العناية بعملية التنشئة الاجتماعية والتطبيع والاندماج الاجتماعي ، والعناية بتكوين مفهوم الذات الموجب عند الفرد ، وتوجيه الطفل منذ الصغر نحو الأهداف الواقعية التي يمكن تحقيقها ، والعناية بتحديد فلسفة واضحة لحياة الطفل منذ البداية ، وتدريبه على تحمل المسؤولية والقضاء على السلبية والعدوان لدى الفرد وتدريبه على اللعب .

